الطوالع والتنجيم

قلَّ من لم يرَ منجماً ينبئهُ بما يقع لهُ من البؤس والنعيم والشدة والرخاء فتطمئنُّ نفسهُ الى امور وتجزع من أُخرى ولو كان يعلم علم اليقين ان كل ما قالهُ المنجم رجمٌ بالغيب وخزعبلات لا تصدق مرةً حتى تكذب الف مرة لان الانسان مولع بالبحث عن مستقبلهِ شديد الحرص على معرفة ما خُبِّئَ لهُ في خزائن الغيب اذا وجد الى ذلك سبيلاً . وهذا الولع قد رسخ في فطرتهِ منذ كان يحلُّ الكهانة والتنجيم المحل الاول بين علومهِ ومعارفهِ ولا يُنزَع الاَّ بعد كرور الازمان ورسوخ المعارف الحديثة في النفوس

والتنجيم من اقدم الاوهام الَّتي شاعت في العصور السالفة وسادت على الشعوب القديمة كالمصريين والهنود والصينيين والكلدانيين واليونان والرومان والعرب . وقد نفاهُ كثيرون من العلماء والفلاسفة ورؤساء الديانة كشبشرون وبلينيوس وتاشيتس واكليمندس وأُرجنس واغسطينوس وابن رشد وابن خلدون ولكن غيرهم اثبتهُ ولم يزل لهُ بعض الاشياع في مشارق الارض ومغاربها. وبالامس انشأ ثلاثة من الانكليز كتاباً كبيراً في الطوالع قالوا فيهِ ان التنجيم على ازدياد في اوربا كلها. ونشرت جريدة الرڤيو سينتفيك الفرنسوية فصلاً من كتاب في الطوالع أُلِّف في مدينة باريس سنة ١٦٣٦ وقد لخصنا منهُ ما يأتي مثالاً لما يزعمهُ اهل الطوالع

من يولد يوم الاحد الذي هو منزل الشمس يتولى المناصب الرفيعة ويخدم العظماء ويخاطب الملوك والامراء ويرتفع بهِ شأن قومهِ وجاههم . ويذيع اسمهُ وتعظم شهرتهُ ولكنهُ يكون عرضة للصُداع والم الاسنان وحمَّى الربع وهو في خطر من النار وتكثر اسفارهُ ويربح بابتياع الخيل وتحبهُ النساء ويتزوج اكثر من مرة ولا يرث مالاً كثيراً من ابيهِ ويبلغ عمرهُ ثلاثاً وستين سنة ويكون مزاجهُ دمويًّا ويضرب لونهُ الى السمرة والاحمرار ويكون كثير السخاء وتحفظ اسرارهُ ويصونهُ رفاقهُ وخدمهُ

ومن يولد يوم الاثنين تكون لهُ السيادة ويبرع في العلوم الهندسيَّة والرياضية والجغرافيَّة واذا كان من ابناء الملوك صار ملكاً والاَّ صار سفيراً او نائباً او نحو ذلك واذا كان من اهل الصناعة صار صائغاً واذا كان من خدمة الدين صار رئيساً فيهم واذا كان من رجال البحرية صار ربَّاناً او ناخُذاة . ويكون مزاجهُ بلغميًّا ويتعرض للنزلات

والم الاسنان والقولنج والطحال والاورام . ويفلح في اسفار البحر ومصايد الاسماك والمطاحن والمطابع والزراعة . وعليهِ خطر من السم ويعمّر سبعين عاماً ويحب كل ما يستخرَج من الماء

ومن يولد يوم الثلاثاء طالعهُ المريخ ويكون جسوراً غضوباً كثير المزاح والخصام يحب النجوم والدفاع ويميل الى عمل الاسلحة ويكثر كذبهُ وحلفهُ . يعِدُ بشيء ويفعل غيرهُ ويرتقي في المناصب العسكريّة والسياسيّة حتى يصير قائد جيش او والي مدينة ويرحّب بهِ الملوك والأمراء لبسالتهِ ويفلح في صناعة الجراحة وعلم التشريح ورمي السهام وطبخ الطعام والعزف على القيثار ويعيش اثنتين وسبعين سنة ويقترن بزوجة واحدة ويقلُّ اولادهُ ولا خطر عليهِ من الموت الفجائي

ومن يولد يوم الاربعاء طالعهُ عطارد ويكون من اهل العقول الكبيرة ويصير فيلسوفاً او خطيباً او طبيباً او منجماً ويفلح في الاعمال الصناعيّة والتجاريّة والزراعيّة وقد يصير سفيراً او رئيساً اومشيراً او طبيباً او محرراً . ويصادق اهل البطالة والمزورين ويكون صالحاً مع الصالحين وطالحاً مع الطالحين . ويكون عرضةً لمرض القلب والارتعاش والنقرس والمفاصل ويتزوج ثلاثاً ويولد لهُ سبعة اولاد او ثمانية ويعيش خمسين سنة او اكثر

ومن يولد يوم الخميس فطالعهُ المشتري ويكون لطيفاً امينا عفيفاً عاقلاً تقيّاً محبّاً الى الملوك والامراء ويفلح في خدمتهم وينال رتبة عالية ويكتسب من الاسفار ويكثر اصدقاؤهُ ويبلغ بلداناً لم يخطر لهُ بلوغها . ويفلح في استخدام الاسلحة وغرس الاشجار وبناء البيوت واستخراج المعادن . ويتزوّج مرّتين ويكثر اولادهُ ويعمّر ثمانين عاماً . ويكثر نفعهُ ويكون سخياً غيوراً على زوجتهِ واسع المعرفة كثير الاطلاع

ومن يولد يوم الجمعة فطالعهُ الزهرة ويكون محبّاً للغناء والطرب ويبرع في الموسيقى او في عمل الطيوب وبيعها او في الخياطة او نحوها من ضروب الزينة والتحلي . وتحبهُ النساء ويتزوج مرةً وتكون بناتهُ اكثر من بنيهِ ويحب الجنائن والبساتين والجواهر والرقص والطرب ويعمّر اثنين وسبعين عاماً

ومن يولد يوم السبت يكون محبّاً للعزلة والانفراد وتفتح لهُ الكنوز ويرث غنيّ وافراً ويعمّر نحو مئة عام وينجح في المواد الصلبة كالخشب والحديد والحجارة . انتهى بايجاز

وغنيٌّ عن البيان ان جميع الاحكام المتقدمة من قبيل الخزعبلات ولكنها تؤثر في

نفس قارئيها بعض الشيء كما يظهر بالامتحان . ولو صدَّقنا لها وذكرناها كأنها حقائق مثبتة لصدَّقها كثيرون واثَّرت في نفوسهم تأثيرًا شديدًا . فلا بدَّ من المجاهرة بنفيها ونفي كل ما مائلها من مزاعم اهل التنجيم ولا سيما بعد ما بحث الاستاذ ده مورغان الرياضي الانكليزي الشهير بحثًا استقرائيًّا واثبت فسادها اثباتًا لا شبهة فيهِ . ويعجبنا ما قالهُ ابن خلدون في هذا الشأن قبلهُ بمئات من الاعوام قال بعد كلام طويل استدلَّ بهِ على بطلان صناعة التنجيم شرعًا وعقلاً " قد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران الانساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتفق الصدق في احكامها في بعض الاحايين اتفاقًا لا يرجع الى تعليل ولا تحقيق فيلهج بذلك من لا معرفة لهُ ويظن اطِّراد الصدق في سائر احكامها وليس كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالقها . ثم ما ينشأ عنها كثيرًا في الدوَل من توقُّع القواطع وما يبعث عليهِ ذلكَ التوقع من تطاول الاعداء والمتربصين بالدولة الى الفتك والثورة . وقد شاهدنا من ذلك كثيرًا فينبغي ان تحظر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول " . ثم استشهد بقصيدة لابي القاسم الروحي الاندلسي منها قولهُ

يا راصد الخنَّس الجواري ما فعلتْ هذهِ السماء
ما هذهِ الانجم السواري الَّا عباد يدٍ اماء
يُقضى عليها وليس تقضي وما لها في الورى اقتضاء
ضلَّت عقولٌ ترى قديمًا ما شأنهُ الجرم والفناء
وحكَّمت في الوجود طبعًا يحدثهُ الماء والهواء

ويبلغنا ان كثيرين من اهالي هذا القطر وغيرهِ من الاقطار الشرقيَّة ولا سيما بلاد فارس لا يزالون يعتقدون بالتنجيم ويعتمدون على المنجمين في معرفة طوالعهم وطوالع اولادهم ويعلِّقون على ذلك شأنًا كبيرًا وهذا خطاء فاحش وضلال كثير المضار وليس اقوى على نفي التنجيم من نشر الحقائق العلميَّة ولا سيما حقائق علم الهيئة بحسب ما اثبتهُ علماؤه حديثًا فان هذه الحقائق هي الَّتي اضعفت شأن التنجيم في اوربا بعد ان استولى عليها في القرون الوسطى فعسى ان لا يغفل رؤساء المدارس تدريس اصول هذا العلم لكي تشيع مبادئهُ وتنفي الاوهام الَّتي رسخت في النفوس من ازمان الجهل والغباوة